البيئة بين المفهوم الإسلامي و القوانين الوضعية

أ .غويني يحي

جامعة الجلفة

مقدمة:

هذا البحث المتواضع هو محاولة لدراسة موضوع المحافظة على البيئة في الإسلام والمواثيق الدولية، حيث يتم التطرق لقضية البيئة من منظور علمي وإسلامي استنادا إلى ما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية من أحاديث شريفة، وما ورد في المراجع العلمية الحديثة.

وقد قسم البحث الى قسمين تناولنا في الاول مفهوم البيئة ووفي الثاني

المبحث الأول: مفهوم البيئة.في القوانين و المواثيق الدولية

المفهوم العلمي للبيئة.

من الناحية العلمية، تعرف البيئة بأنها الأحوال الفيزيائية والكيميائية والإحيائية ي الثانيل لإقليم الذي يعيش فيه كائن حي[1].

تعرف أيضا بأنها: " كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فتشمل المدينة بأكملها، مساكنها، شوارعها،أنهارها،آبارها،شواطئها، كما تشمل كل ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب وما يلبسه من ملابس بالإضافة إلى العوامل الجوية والكيميائية وغير ذلك"[2].

أما في علم الأحياء فالبيئة تعني"كل العوامل والظروف الخارجية التي تؤثر في أي كائن حي أو مجتمع حي ما"[3]

ومن تعريفات البيئة في هذا العلم أيضا ما قاله البعض أن للبيئة مفهومين يكمل بعضهما الآخر: " أولهما البيئة الحيوية وهي كل ما يختص بحياة الإنسان وبعلاقته بالمخلوقات الحية، الحيوانية والنباتية التي تعيش معه.

أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية وتشمل موارد المياه والفضلات والتخلص منها، والحشرات وتربة الأرض والمساكن والجو ونقاوته أو تلوثه والطقس، وغير ذلك من الخصائص الطبيعة للوسط"[4].

أما في علم الاجتماع فالبيئة تعني " الأحوال الاجتماعية والطبيعية التي يعيشها الإنسان"[5].

أما البيئة بمفهومها الواسع فهي تشمل البعد الايكولوجي إلى جانب الأبعاد الأخرى: أبعاد تكنولوجية، اجتماعية، اقتصادية، تاريخية، ثقافية...الخ.

وكل بعد من هذه الأبعاد يتفاعل مع الأبعاد الأخرى ويلعب دورا حيويا في توازن هذا الكل. فعندما نقول البيئة فنحن نقصد جميع العناصر التي تحيط بالإنسان وتتفاعل معه من خلال قيامه بنشاطاته الحيوية"[6].

يمكن إدراج تعريف آخر مشابه لما سبق ذكره، فالبيئة حسب بعض الباحثين: "عبارة عن نسيج من التفاعلات المختلفة بين الكائنات العضوية الحية بعضها البعض (إنسان، حيوان، نبات...) وبينها وبين العناصر الطبيعية غير الحية (الهواء، الشمس، التربة...) ويتم هذا التفاعل وفق نظام دقيق، متوازن ومتكامل يعتبر عنه بالنظام البيئي"[7].

وهناك من عرف البيئة من الناحية العلمية بأنها " مجموع العناصر الطبيعية التي تكيف حياة الإنسان"[8].

المفهوم القانوني للبيئة.

إن تعريف البيئة من الناحية القانونية يقتضي محاولة تفهم الحقائق من الناحية العلمية في المقام الأول واستيعابها تمهيدا لإدراجها في الأفكار القانونية.

●القانون المغربي عرف البيئة بأنها: " مجموعة العناصر الطبيعية والمنشآت البشرية، وكذا العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تمكن من تواجد الكائنات الحية والأنشطة الإنسانية وتساعد على تطورها"[9].

●القانون المصري رقم 4 لسنة 1994 عرف البيئة بأنها: " المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما يحتويه من مواد وما يحيط به من هواء وماء وما يقيمه الإنسان من منشآت"[10].

●أما مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية في ستوكهولم سنة 1972 قدم تعريفا للبيئة بأنها " رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما، لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"[11].

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات السالفة الذكر نجد أنها تختلف باختلاف الأنظمة القانونية، لكنها تتفق في الإطار العام الحاكم للمفهوم.

البيئة والمواثيق الدولية.

إن الإنسان جزء لا يتجزأ من هذه البيئة لكن الميزة التي تميزه عن باقي عناصرها ومكوناتها انه يعي دوره الفاعل فيها، هذا الدور الذي يتوضح من خلال ممارسته اليومية لمظاهر حياته، وبفعل قدراته الجبارة أصبح مهيمنا على البيئة المحيطة به، وساعده في ذلك تزايده السريع وتطوره العلمي والتكنولوجي، وسعيه الحثيث لتلبية حاجاته.

ونظرا لهذا يصعب التطرق للبيئة وعلاقتها بالمواثيق الدولية دون إعطاء نظرة عن العلاقة التي تجمع الإنسان والبيئة.

لذا سيتم التحدث في المطلب الأول عن علاقة الإنسان بالبيئة، وفي المطلب الثاني عن قانون البيئة في المواثيق الدولية.

علاقة الإنسان بالبيئة.

حسب ما رأيناه في المبحث الأول، يمكن اعتبار الإنسان مكونا من مكونات النظام البيئي والمجال الحيوي، فالإنسان يحتل مكانة خاصة ومتميزة في علاقته مع البيئة وذلك راجع لأسباب تركيبية وفسيولوجية وسلوكية.

هذه الأسباب هي التي جعلت من الإنسان أكثر الأحياء تأثيرا في البيئة.

هناك من يعتقد أن الإنسان فوق الطبيعة، وهو المسيطر عليها. هذه الرؤيا تضع الإنسان في مقارنة بينه وبين الطبيعة من حيث القوة والسيطرة، وهي مقارنة غريبة لأنها مقارنة بين العاقل (الإنسان) وغير العاقل (الطبيعة)، والتي تجعل من الإنسان المتحكم والمسيطر على الطبيعة[12].

وهناك طرف آخر يعتبر الطبيعة "مجرد مواد خام متاحة للإنسان في كل الأوقات ليستفيد منها، وتصبح تحت رحمته ونفوذه. في هذه الحالة تشبه الطبيعة بشيء جامد، لا تقوى على مقاومة من يهيمن ويسيطر عليها أو يتلاعب بمكوناتها"[13].

إضافة لما سبق هناك اعتقاد آخر: يضع الإنسان في مواجهة ضدية مع الطبيعة لشعوره بان هذه الأخيرة هبة من الخالق له يتصرف فيها كيفما يشاء.

" إن علاقة الإنسان حسب بعض الإيكولوجيين والتربويين البيئيين لا تخلو من النظرة الإيديولوجية الأفلاطونية التي تعكس الوجودية المادية والنفعية المسيطرة على عقول البشر"[14].

ولتقنين العلاقة بين الإنسان وبيئته يرى البيئيون أن ضدية الإنسان نحو الطبيعة ينبغي أن تتحول إلى توافق بين الطرفين من خلال الوعي البيئي عند الناس، والتركيز على مناهج التعليم البيئي في المؤسسات التعليمية، إضافة على العمل بمحاور الميثاق الأخلاقي للبيئة التي تتبنى أفكارا رئيسية أهمها:

أ- اعتبار الإنسان جزءا من الطبيعة، فهو يشكل مكونا ديناميكيا فعالا في عملياتها حيث ينبغي عليه أن يدرك أنه ليس فوق الطبيعة بل هو أحد عناصرها يدين بالولاء لها، ويحافظ عليها ولا ينعزل عنها.

ب- اعتبار الطبيعة أساس ودعامة للبيئة البشرية حيث لا يمكن اقتصار مفهوم الطبيعة على أنها الموارد الأرضية التي يستغلها الإنسان لصالحه.إنما هي كل الرموز والفنون والجماليات التي خلقها الخالق، والتي تشكل الإبداعات الكونية والمعجزات الإلهية لتسخر من الإنسان بتعقل واعتدال وليس بفوضى وإسراف.

ت- بناء مشاعر الارتياح في علاقة الإنسان ببيئته، والمواءمة بين العقل والجسد كوحدة متكاملة بعيدة عن المتناقضات والازدواجية المربكة التي نجدها في الغالب تعكس استخدام الجسد في تلويث وتدمير البيئة، بينما نجد العقل قد لا يوافق على سلوك التدمير.

ث- تنمية الوجدان وترسيخ القيم، وكسب المهارات التي تساعد على سلامة تعامل الفرد مع البيئة"[15].

إن التعامل الحكيم و الرصين مع البيئة يتطلب إذن قدرا كافيا من حسن التصرف، كتعلم كيفية التفكير السليم لإيجاد حلول للمشكلات البيئية المختلفة، والهدف من خلق علاقة وطيدة بين الإنسان وبيئته هو التحرك من الانشغال المستمر والدائم في معالجة الأزمات الطارئة إلى منع حدوثها من خلال الوعي والتخطيط الهادف.

فالإنسان يسعى دائما إلى استغلال موارد بيئته بطريقة أو بأخرى، هدفا منه في إشباع حاجاته الأساسية والثانوية. ويترجم هذا الاستغلال في صوره المختلفة العلاقة المتبادلة بينهما (الإنسان والبيئة) وإن كان الإنسان هو المستفيد الأكبر.

لذا فقد انشغل العديد من العلماء بهذه القضية والتي أطلقوا عليها: " العلاقة الإنسانية_ البيئية""[16].

البيئة في المواثيق الدولية.

قبل التطرق إلى مفهوم قانون البيئة لا ضرر من تقديم نبذة عن مرجعيته التاريخية والقانونية. " يرجع تاريخ المحافظة على البيئة في أقل تقدير إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، عندما شرع قانون حمورابي قوانين تضمن عدم اضمحلال الغابات من جراء الاستتراف الجائر. وبالمثل أقر المجلس الروماني قبل نحو ألفي سنة قانونا يقضي بحفظ المياه خلال فترات الجفاف.

فغني عن التذكير بان جذور المحافظة على البيئة مغروسة بثبات في تعاليم الأديان السماوية الربانية بل حتى في شعائر الأديان الوثنية كالبوذية والهندوسية...التي ترشد أتباعها إلى حسن المحافظة على الطبيعة الأم"[17].

" لقد ظهر قانون البيئة نتيجة التطورات التي جرت في الواقع في مجال البيئة وتلويثها حيث أظهرت بوضوح أهمية إقرار حق الإنسان في حماية بيئية سليمة ومناسبة.يعتبر هذا الحق من حقوق الجيل الثالث من أجيال حقوق الإنسان والتي أطلق عليها حقوق التضامن"[18].

يعتبر القانون الدولي للبيئة حديث النشأة إذ أن أصوله الحقيقية تعود إلى نهاية الستينات وهي المرحلة التي بلغ فيها النمو الاقتصادي مستويات مرتفعة بعد مرحلة البناء التي تلت الحرب العالمية الثانية.

يعد قانون البيئة احد فروع القانون الدولي العام الذي يهتم بحماية البيئة بمختلف جوانبها. ويمكن إجمال المواضيع التي يهتم بها القانون الدولي البيئي فيما يلي:

- "منع تلوث المياه البحرية وتوفير الحماية والاستخدام المعقول للثروات والأحياء البحرية.
- حماية المحيط الجوي من التلوث.
- حماية النباتات والغابات والحيوانات البرية.
- حماية المخلوقات الفريدة.
- حماية البيئة المحيطة من التلوث"[19].

مما سبق يمكن تعريف القانون الدولي البيئي بأنه "مجموعة قواعد ومبادئ القانون الدولي التي تنظم نشاط الدول قي مجال منع وتقليل الأضرار المختلفة التي تنتج من مصادر مختلفة للمحيط البيئي"[20].

لقد أبرمت مجموعة من الاتفاقيات بشأن حماية البيئة سواء على المستوى العالمي أو الإقليمي.

على المستوى العالمي : أهم الاتفاقيات المبرمة.

- " اتفاقية لندن 1954 الخاصة بمنع تلوث البحار بالنفط.
- اتفاقية باريس 1960 بشأن التجارب الذرية.
- اتفاقية 1969 بشأن التدخل في أعالي البحار في حالات الكوارث الناجمة عن التلوث. لقد عالجت هذه الاتفاقية القواعد المنظمة للإجراءات الضرورية لحماية الشواطئ في حالة وقوع أضرار ناشئة عن كوارث نفطية في أعالي البحار.
- اتفاقية بروكسيل 1970 بشأن صيد وحماية الطيور.
- اتفاقية باريس 1972 المبرمة في إطار منظمة اليونسكو بشأن حماية التراث الطبيعي والثقافي.
- اتفاقية أسلو 1972 بشأن منع التلوث البحري من خلال إلقاء النفايات من الطائرات والسفن.
- الإعلان العالمي للبيئة في استوكهولم 1972 وهو اللبنة الأولى في صرح القانون الدولي للبيئة"21
- اتفاقية واشنطن 1977 في إطار منظمة العمل الدولي بشأن حماية العمال من الأخطار الناجمة في بيئة العمل عن تلوث الهواء وعن الضوضاء وما شابه ذلك .
- الميثاق العالمي للطبيعة 1980.
- اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982.
- اتفاقية فيينا لحماية طبقة الأوزون.

- الاتفاقية الدولية المبرمة سنة 1986 بشأن المساعدة المتبادلة في حالة وقوع حادث نووي 22.
- الإعلان الصادر عن قمة الأرض بريودي جانيرو 1992.
- اتفاقية مكافحة التصحر 231994.
- – بروتوكول كيوطو 16 مارس 1998 الذي يلزم الدول المتقدمة بالحد من الأنشطة الاقتصادية 24.
- على المستوى الإقليمي : أهم الاتفاقيات .
- " الاتفاقية الإفريقية لحفظ الموارد الطبيعية 1968.
- مبادئ سنتي 1974 بشأن حماية البيئة لبحر البلطيق.
- اتفاقية جدة 1982 بشأن حماية البيئة البحرية للبحر الأحمر وخليج عدن "25 .

أما فيما يتعلق بالآليات الدولية لحماية هذا القانون ، نجد في هذا الخصوص، أنه بعد مؤتمر استوكهولم 1972 الذي حضره ممثلون عن جميع أعضاء الأمم المتحدة ، " تم إنشاء جهاز دولي تابع للأمم المتحدة .يعنى هذا الجهاز بشؤون البيئة حيث أطلق عليه " برنامج الأمم المتحدة للبيئة PNUE" [26]. فهو يسهم في تقديم المساعدات اللازمة في نشر المعارف البيئية . كما قامت بعض المنظمات الدولية المتخصصة بتوفير آليات خاصة بقضايا البيئة كمنظمات اليونسكو للأغذية والزراعة، منظمة العمل الدولية....

وأخيرا يمكن القول، أنه ورغم النمو المزدوج للقانون الدولي البيئي على المستوى الكمي والنوعي، مازال يعاني من صعوبات في التطبيق . فهو في الغالب يأخذ شكل توصيات غير ملزمة للدول.

المبحث الثاني: مفهوم البيئة في الإسلام

إن القرآن الكريم هو دستور الحياة الشاملة للبشرية كافة حتى الساعة، وهو القاعدة المتينة والسليمة المؤدية – إذا ما التزامنا بها – إلى الارتقاء بالسلوك المادي والخلقي والروحي للبشرية في آن واحد لما فيه خيرها.

فهو المنهاج الذي يملك القدرة على إعادة بناء البشرية على الوجه الصحيح الذي أراده الله خلافة بالحق والصلاح لهذه الأرض مصداقا لقوله تعالى: " وما فرطنا في الكتاب من شيء"[27].

وجاءت السنة النبوية لتستكمل مصادر التشريع الإسلامي الذي يوجهنا إلى طريق الخير والصلاح والإعمار يقول رسول الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله"[28].

تصور الإسلام لمفهم البيئة.

لا يمكن إعطاء صورة واضحة للتصور الإسلامي للبيئة دون التطرق إلى مفهوم البيئة في الإسلام، وإلى العلاقة التي تربط الإنسان ببيئته وذلك من خلال الدراسات الإسلامية المقدمة في هذا الإطار .

مفهوم البيئة في الإسلام .

إن مصطلح البيئة هو مصطلح إسلامي نظرا لذكر اشتقاقاته في عدة سور من القرآن الكريم يقول تعالى : "وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقوكما بمصر بيوتا"[29] أي اتخذ لهم بيوتا للصلاة والعبادة.

كما يقول تعالى :" وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا"[30]

فكلمة البيئة لم يرد ذكرها لفظا في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة إلا أنه إذا أخذ مفهوم البيئة _مما سبق ذكره في الفصل السابق – بأنها الأرض وما تتضمنه من مكونات غير حية متمثلة في مظاهر سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول وصخور ومعادن وتربة...إلخ ، ومكونات حية متمثلة في الإنسان والنبات والحيوان سواء أكانت على اليابسة أو في الماء . تجد أن البيئة بهذا المفهوم قد وردت في القرآن في 199 آية في سورة مختلفة.

يتميز مفهوم البيئة في الإسلام بشموليته فهو يعني الأرض والسماء والجبال وما فيها من مخلوقات بما فيها الإنسان وما يحيط به من دوافع وعواطف وغرائز . وهذا ما سيظهر من خلال التعريفات التالية:

يقول الدكتور القرضاوي في كتابه رعاية البيئة في شريعة الإسلام: "البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويبوء إليه إذا سافر واغترب بعيدا عنه فهو مرجعه في النهاية"[31]

وهذه البيئة تشمل البيئة الجامدة والحية.

- فالجامدة تشمل الطبيعة التي خلقها والصناعية التي صنعا الإنسان
- أما الحية فتشمل الإنسان والحيوان والنبات.

- السمة الوظيفية: التي تسخر للبيئة بمواردها في تلبية مصالح الإنسان وقضاء حوائجه. فالأرض ذللت له تذليلا. قال تعالى: " والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ،وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين"[32].

وكان من لوازم هذه التسخير أن جعلت تربة الأرض خصبة معطاء لتستنبت فيها الأقوات، ثم هيئ الماء لتحيى به الأرض بعد موتها ويسقي الناس والأنعام . مصداقا لقوله تعالى:" وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ،وأنزلنا من السماء طهورا ،لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا" [33].

- السمة التفاعلية : التي تجعل عناصر البيئة في تفاعل مع بعضها البعض، وتوازن محكم تتجلى فيه بدائع الصنع الإلهي ؛ فكل عنصر يتأثر بنظيره ويؤثر فيه وفق سنن الله تعالى في كونه . وبهذا يظل التكامل البيئي محفوظا ومرعيا . فالله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بمقدار وذلك للحفاظ على التوازن البيئي.
- السمة الجمالية: "التي تستوفي غرض الترفيه والترويح عن الإنسان ،فالله سبحانه وتعالى أوجد الموارد الطبيعية مختلفة الألوان والأشكال لتدخل البهجة على النفس البشرية"[34] . فهذا مطلب شرعي يراعى حيث قال سبحانه في كتابه العزيز:" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ،ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك "[35]

نستخلص مما سبق ذكره، أن المفهوم الإسلامي للبيئة لا يختلف عن المفاهيم المدروسة في الفصل السابق.

العلاقة بين الإنسان والبيئة وفق المنظور الإسلامي.

إن علاقة الإنسان بالبيئة في المنظور الإسلامي محكومة بضابطين أولهما[36]:

التسخير: أي تسخير العناصر البيئية لخدمة الإنسان لتساعده على النهوض برسالته الاستخلافية. قال تعالى: " ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير"[37].

وثانيهما الاعتدال: وهو شرط في استثمار موارد البيئة ومنافعها، ينبع من طبيعة دور المستخلف الذي جعل سيدا في الكون لا سيد الكون. فالبيئة أمانة تراعى، وملكية عامة مشتركة، يحافظ عليها ضمانا لصيرورة الوجود واستقامة موازينه،فإذا انقلب الاعتدال إلى إسراف والإحسان إلى عدوان حوربت الفطرة، وعوديت السنن الإلهية الراعية لتوازنات البيئة،فحل الدمار وانتفش البلاء[38].

فالإنسان يقوم بدور مهم في البيئة حيث أن كل ما فيها مسخر له، وعليه أن يتعامل معها بما لا يجافي سنن الله في خلقه ولا أحكام الله في شرعه ،فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها لتؤتي له حقه[39].

ويتمثل هذا الدور في مهام ثلاثة تعتبر هي الأهداف للحياة الإنسانية:

- عبادة الله: "إن التأمل والتفكير في هذه البيئة بعناصرها الحية وغير الحية، ،باعتبارها آية من آيات الله يهدينا إلى الإيمان بوحدانيته سبحانه وتعالى"[40]ويتجلى ذلك في قوله تعالى: " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"[41].

وهذا يوصل الإنسان إلى عبادة الله تعالى التي "تشمل كل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، فهي تستوعب كل مجالات الحياة"[42].

- الخلافة لله في الأرض: إن الإنسان يعتبر خليفة الله في الأرض مصداقا لقوله تعالى: " وإني جاعل في الأرض خليفة "[43]. وهذه الخلافة لا تتم إلا بإقامة الحق والعدل ،ونشر الخير والصلاح . لذا فإن المستخلف في الأرض هو المسؤول عن حماية ورعاية البيئة[44].

- عمارة الأرض: وإليه الإشارة بقوله تعالى: "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"[45] واستعمركم معناها: "طلب إليكم أن تعمروها"[46]

وعمارة الأرض إنما تتم بالغرس والتشجير والتثمير والإصلاح والإحياء، وسد الذرائع إلى الفساد.

فلو قام الإنسان بهذا الدور وحقق هذه المقاصد لسعد هو،وأسعد من حوله، يقول تعالى :"ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض"[47] .ويقول سبحانه أيضا: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلتحيينه حياة طيبة"[48].

ومن أجمل ما جاء به الإسلام في علاقة الإنسان بالبيئة وبالكون عامة من حوله، " إنشاء عاطفة الود والحب لما حول الإنسان من كائنات جامدة وحية . فالأحياء من الطيور والدواب هي أمم أمثالنا "[49] .

يقول تعالى :" وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم "[50].

وغير الأحياء من الكائنات ترى ساجدة مسبحة لله تعالى، يقول عز وجل في كتابه المحفوظ: " ألم تر أن الله يسجد له ما في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس"[51] .

فلا عجب أن يضمر الإنسان لهذه الكائنات الساجدة المسبحة لله الود والحب والشعور بالألفة بينه وبينها؛ لأنها تعبد الله كما يعبده هو.وخير دليل على هذا ما قاله خير البرية على جبل أحد: "هذا جبل أحد يحبنا ونحبه "[52].

لقد ورد في المطلب السابق أن الله تعالى قد أوجد الموارد الطبيعية مختلفة الألوان والأشكال لتدخل البهجة على النفس البشرية. فهذا مستوى آخر للعلاقة التي تجمع الإنسان ببيئته. فالله سبحانه وتعالى " خلق في مسارح الكون

ومعارض الطبيعة جماليات وبدائع تدل على قدرته جلا وعلا. فالاستمتاع به يغذي الوجدان، ويصقل الذوق ويروح عن النفس "[53]. قال تعالى: "والأنعام خلقها الله لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون"[54].

وعلى ضوء ما سبق ذكره فإن علاقة الإنسان ببيئته " لا تتحول إلى سيطرة بمسيطر عليه أو علاقة مالك بمملوك ،إنما هي علاقة أمين استؤمن عليها بكل ما يعنيه من وفاق وانسجام وتكامل معها "[55]. فإن الكائن البشري هو عنصر مميز من عناصر البيئة ،ومكون فريد من مكوناتها.

البيئة بين التصور الإسلامي والمواثيق الدولية.

من خلال ما تم التطرق له يتبين لنا ان الإسلام قد عنى عناية كبيرة بالبيئة ، ووضع للإنسان القواعد والأسس السليمة التي تكفل حسن استغلال البيئة والمحافظة عليها.اعتمد المنهج الإسلامي على الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى .

كما ربط الحفاظ على البيئة ومكوناتها بالضروريات الخمس ،إضافة على أن كل العلوم التي انبثقت كأصول الفقه وعلم شروح الحديث النبوي تعرض جوانب هامة من رعاية البيئة.

إن الإسلام يربط بين البيئة وبين البعد التوحيدي والمنظومة الأخلاقية. فالنظام البيئي ليس مجرد مكونات مرصودة وعناصر محسوبة ،وإنما لا بد من وصل بينها وبين النفس البشرية ليتأتى تزكيتها وتطهيرها 56 .

كما أن التعاليم والأحكام الإسلامية في رعاية البيئة وإصلاحها ليست مجرد أفكار فلسفية ،حبر على ورق، كما يقال ،بل هي أوامر إلهية وتوجيهات ربانية يجب على المسلمين تفاديها بمقتضى إسلامهم وبحكم إيمانهم57

أما القوانين الوضعية فهي وإن واتاها التحكم في الجوارح وترويضها، فلا سلطان لها البتة على الجوانح التي يرعاها الدين وتزكيها التقوى 58. يقول عز وجل في كتابه: " قد أفلح من زكاها ،وقد خاب من دساها "59.

لقد كان الإسلام سباقا إلى عدة حلول تسهم في الحفاظ على البيئة ومكوناتها،منها : نظام المحميات الذي لم يعرفه العالم المعاصر إلا في القرن التاسع عشر حيث أعلنت حكومة واشنطن عن تأسيس محمية طبيعية سنة1864م،و انعقد أول مؤتمر دولي للمحميات في الولايات المتحدة سنة 1964 م .فالإسلام زف إلى الكون إنشاء محميتين لا نظير لهما في تاريخ البشرية وهما : المحمية المكية والمحمية المدنية .فهذه هي الدعوة التي تبناها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا.

يتميز المنهج الإسلامي بخطاه المدروسة والعملية وحتمية تنفيذه. بينما المواثيق الدولية هي توصيات تضرب عرض الحائط من طرف الدول المهيمنة وتطبق فقط في حق الدول الضعيفة.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة المقارنة يتضح أن علاج مشكلات البيئة رهين بعلاج الإنسان نفسه، فهو الذي أفسدها بجشعه وظلمه وإسرافه وعليه أن يصلحها.

فمن استقراء الأحاديث النبوية يجد الباحث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغير داخل الصحابة ويعالج نفوسهم فهي أصل الداء. والقرآن الكريم يقر هذه القاعدة الاجتماعية[60]، يقول سبحانه: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[61].

كما أن السنة النبوية لم تقتصر على تحديد أساليب الثواب للمحسنين للبيئة والعقاب للمسيئين لها، بل تعدت ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع البيئة سلوكا حميدا يجب أن يلتزم به المسلم ويراقب في أدائه ربه. أما فيما يتعلق بالاتفاقيات والمعاهدات المبرمة في هذا الشأن يجب أن تخرج من هذا الإطار النظري المحبوسة فيه إلى إطار التنفيذ وسن العقوبات الزاجرة لهذه السلوكات المخلة بالبيئة ومكوناتها.

أهم النتائج التي انتهى إليها البحث:

1- التزام بالسلوكيات الإيجابية والابتعاد عن كل ما هو سلبي في الحياة.

2- سن قوانين زجرية وعقوبات في حق كل من تجاوز الحدود في معاملته للبيئة ومكوناتها.

3- تعميم التربية البيئية في المدارس ضرورة فرضتها الحاجة لتفادي هذه الكوارث الطبيعية.

4- تشجيع مشاريع بيئية تسهم في المحافظة على البيئة ورعايتها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، الطبعة الأولى سنة 1968م دار صادر بيروت.
2. أساس البلاغة للزمخشري تحقيق عبد الرحيم محمود سنة، 1982 دار المعرفة بيروت.
3. القاموس المحيط للفيروزأبادي الطبعة الثالثة 1352هـ 1933م المطبعة المصرية.
4. الصحاح للجوهري الطبعة الأولى سنة 1999م دار الكتب العلمية بيروت.
5. المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس الطبعة الثانية.
6. المنجد في اللغة والإعلام الطبعة السابعة والعشرين، دار المشرق بيروت.
7. البحث العلمي: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 46 سنة 1999: ملف البحر والبيئة في التراث الإسلامي.
8. الوجيز في قانون البيئة للدكتور عبد المجيد السملالي الطبعة الأولى سنة 2006، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
9. جريدة المنعطف ضمن سلسلة من سبع حلقات ما بين 19و 28 فبراير 1998م.
10. المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للدكتور قطب الريسوني الطبعة الأولى 1429 م 2008 م دار ابن حزم.
11. مجلة عالم الفكر، العدد 3 المجلد 32 سنة 2004 مطابع دار السياسة، مقالة: التربية البيئية ومأزق الجنس البشري ليعقوب أحمد الشراح.

12. رعاية البيئة في شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى 1421هـ-2001 م دار الشروق، القاهرة.
13. الموطأ للإمام مالك الطبعة الثالثة، سنة 1416هـ/ 1996م مطبعة فضالة المغرب.
14. الأدب المفرد للبخاري تحقيق: سمير بن أمين الزهيري 1419 هـ/1998م مكتبة النشر والتوزيع الرياض.
15. صحيح البخاري الطبعة الأولى سنة 1419 هـ 1998 م دار الكتب العلمية بيروت.
16. صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية 1972م دار إحياء التراث العربي بيروت .
17. رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة للدكتور شحاتة، الطبعة الأولى 1421هـ 2001م دار الشروق القاهرة.

الهوامش

[1] –انظرنفس الموقع على الشبكة العنكبوتية

[2] – انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية: مقالة ماهية البيئة للذكتورأسامة عبد العزيزماهية البيئة

[3] – انظر نفس الموقع

[4] – انظر، نفس الموقع.

[5] – انظر، نفس الموقع.

[6] – البحث العلمي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 46، ص: 22-23.

[7] – جريدة المنعطف.

[8] – الوجيز في قانون البيئة، للدكتور عبد المجيد السملالي، ص: 13.

[9] – انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية: Ongla ayoune 2010.herber gratuit.com
مقالة التنمية والبيئة والمعادلة الصعبة، القانون المغربي، رقم 11,03 المتعلق بحماية البيئة.

[10] – انظر الموقع: PARCعلى الشبكة العنكبوتية،
مقالة التشريعات البيئية، للمستشار محمد عبد العزيز الجندي.

[11] – انظر الموقع السابق

[12] – مجلة عالم الفكر، العدد3، ص: 26.

[13] – نفس المصدر، ونفس الصفحة.

[14] – نفس المصدر السابق،ونفس الصفحة

[15] – مجلة عالم الفكر،العدد:3 ص: 27

[16] – مجلة عالم الفكر،العدد:3 ص:27

[17] – الوجيز في قانون البيئة، للدكتور عيد المجيد السملالي، ص: 29-30.

[18] – نفس المصدر السابق، ص: 37-38.

[19] – انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية www.cmes-maroc.com . مقالة القواعد الدولية لحماية البيئة لحياة زلماط

[20] – انظر الموقع السابق.

[21] انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية www. Cmes-mroc.com. مقالة القواعد الدولية لحماية البيئة لحياة زلماط

[22] انظر نفس الموقع السابق

[23] – الوجيز في قانون البيئة للدكتور عبد المجيد السملالي .ص:44

[24] – – انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية www.cmes-maroc.com .

[25] – نفس الموقع السابق

[26] – نفس الموقع السابق

[27] – سورة الأنعام الآية 38.

[28] – صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (361/4)

[29] – سورة يونس الآية 87.

[30] سورة الأعراف الآية 74.

[31] – رعاية البيئة في شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص:12

[32] سورة الحجرات الآيات :19-20.

[33] – سورة الفرقان الآيتان :48-49

[34] – المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للدكتور قطب الريسوني ص: 20

[35] سورة فاطر الآيتان :27و28.

[36] – المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للدكتور قطب الريسوني ص:30

[37] – سورة لقمان الآية: 20.

[38] – نفس المرجع السابق ،و نفس الصفحة

[39] رعاية البيئة في شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص: 23.

[40] – المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للدكتور قطب الريسوني ص 56-57.

[41] – سورة آل عمران الآية 19.

[42] – رعاية البيئة في شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص:23.

[43] – سورة البقرة الآية 30

[44] – مجلة الإسلام اليوم العدد 11.ص:8887

[45] – سورة هود الآية 21.

[46] رعاية البيئة في شريعة الإسلام ص: 24

[47] – سورة الأعراف الآية 96..

[48] – سورة النحل الآية 97.

[49] – رعاية البيئة في شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص 30.

[50] – سورة الأنعام الآية 38

[51] – سورة الحج الآية :18.

[52] – رواه مالك في الموطأ باب الجامع كتاب: ماجاء في المدينة رقم الحديث 20:ص 780.

[53] – المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للدكتور قطب الريسوني ص 59.

[54] – سورة النحل الآية :5-6

[55] – انظر الموقع على الشبكة العنكنوتية. quran.maktoob.com/vb/quran.21595

مقالة :البيئة و منهج الإسلام

[56] –المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للريسوني ص :121.

[57] – رعاية البيئة في شريعة الإسلام للقرضاوي ص:243.

[58] – المحافظة على البيئة من منظور اسلامي ص:124.

[59] – سورة الشمس . الآيتان 9-10

[60] – رعاية البيئة في شريعة الإسلام، للقرضاوي، ص: 257-258.

[61] – سورة الرعد الآية: 11.